

# عبادة البطل: مرض نضالنا المقدس

فوتيسوس، أسقف ماراثون (حالياً متروبوليت ديميترياس)



"لا تتكلموا على الرؤساء، و لا على بني البشر، الذين ليس عندهم خلاصٌ" (مزمور 145:2 – السبعينية)

لا يجب أن يكون لنا ثقة مطلقة بالبشر، مهما كانت كرامتهم. البشر يتغيرون.

اليوم هم قديسون. غداً، هم ناكرون. اليوم، خطأة. غداً، أبرار. ثقنا المطلقة يجب أن تكون بالله وبه يكون أساس الأمل بخلاصنا. "طوبى لمن إله يعقوب معينه، واتكاله على الرب إلهه" (مزمور 145:5). غالباً ما يكون البشر غدارين، والذي نُعجب به اليوم كقديس وفضيل، للأسف قد نراه يسقط لاحقاً، بينما شخص آخر لم تكن سمعته جيدة من قبل قد يبرهن نفسه مستحقاً في الظروف وثابتاً.

منذ البدء شهد النضال المقدس للمسيحيين الأرثوذكسيين الأصليين عدد كبير من هكذا أمثلة. ولكن إذا بحثنا في العمق في كل الإنشقاقات التي حصلت في أحضان كنيسة المسيحيين الأرثوذكسيين الأصليين، نجد أن من يستحق اللوم هي جرثومة عبادة البطل. هذه الجرثومة تعيش معنا وحين تجدنا في ظروف ملائمة، تسبب بظهور المرض. إذاً، لنتمعن بهذه الظروف الوبائية لكي نحمي أنفسنا منها.

في بداية ظهور المرض يتوجب هناك وجود أب روحي لديه سمعة أنه رجل فضائل، ولكن فقط بالمظهر الخارجي. ليس الجوهر ما هو مهماً ولكن الصورة الخارجية. بمجرد أن يتوفر هذا عندها ليس هناك سبب لتعليقات غير مناسبة.

من بعد ذلك يتوجب على الأب الروحي بأن تحيط به دائرة قريبة من الأبناء الروحيين الذين يحترمونه ويكنّون له التقدير. إلى هذا الحد، يبقى الأمر مفهوماً.

ولكن المرض يظهر بوضوح عندما يتحول الأبناء الروحيين إلى تلامذة لشخصية القائد. هذا الأمر يحصل هكذا: ربما يكون للقائد-الأب الروحي قدرة ما لجذب الناس إليه. قد يكون ناسكاً أو لديه غير حارة أو متكلم بالغ أو سخياً في عطائه. ولكن قد يكون أيضاً بكل بساطة صاحب حذاقة، مخططاً حيل عديدة من خلالها يجذب إعجاب أولاده الروحيين به.

قد يكون فعلاً فضيلاً في البداية. ولكن من الممكن أيضاً أن يكون مليئاً بالكراهية، مخبئاً بدقة وجهه المليء بالحقد ومشهدداً بإفراط على بعض صفاته الإيجابية. عندها تحيط جرثومة عبادة البطل هؤلاء الأبناء الروحيين المنتمون لمحيطه القريب. يبدأ الأمر بالمجاملة. وعندما يتشكل محيط الشيخ القريب من رهبان وراهبات ويسمح الشيخ لنفسه بأن يصاب بتملق من يجمالونه، عندها يظهر المرض.

إذا الشيخ يرفض المجاملة ويكسر غيمة التملق، وإذا أبعد المجاملين عنه، عندها سيخلص. أما إذا الشيخ لم يعارض هذا الأمر، عندها واحسرتاه! تنشأ هناك دورة خبيثة يقوم من خلالها الشيخ على تنمية عبادة البطل في نفوس الذين يعبدونه ومن ثم يجمعها ليعود بها إلى نفسه متأثراً بعطر التملق. عندها حتى إذا كان الشيخ لا يزال فضيلاً، لكنه بإصابته بدوار التملق، هو يبدأ

باعتبار نفسه بانه يمتلك قدرات هو لا يملكها أصلاً. عندها يُصبح مقتنعاً أنه قديس مرقص إفيغينيكوس جديد، أو قديس ثيودوروس الستوديتي جديد أو قديس مكسيموس معترف جديد أو عامود جديد من أعمدة الأرثوذكسية.

إن دائرة التلامذة القريبة من الشيخ ("شيويم" و"سيرافيم" الشيخ!) تسعى بكل غاية بأن تذيب قدرات الشيخ المبهرة لهؤلاء الموجودون في الدائرة البعيدة عنه. فحول دائرة القائد تتشكل هناك دوائر متحدة المركز. والدائرة الأوسع منهم تحتوي على هؤلاء "المتحولين جديداً" والذين تصل إليهم "شعاعات" الشيخ بعد أن تشتد قوتها بعبورها "الشيويم" و"السيرافيم" و"الملائكة ذوي السبعة أجنحة" الذين للشيخ. يصفونه بـ "المعلم" و"الأب القديس" و"أبونا الصغير" و"الشيخ القديس". وفوق هذا الشيخ "القديس" المعلن هناك الله فقط الذي يحصل منه على الإلهامات الروحية. ليس هناك من سلطة كنسية تتخطى هذا "الشيخ القديس"، لا أساقفة ولا مجامع. "حتى إذا ملاك من السموات" كلمهم ضد تعاليم شخصية الشيخ الرائعة "فليكن مفروزاً" بالنسبة لتلامذته الذين هم خاضعون لسيكولوجية الغوغائية.

صُور "الشيخ" تغطي جدران تلامذته بالكامل، مثل صور المطربين والرياضيين في غرف نوم الشبان المعاصرون. وعُباد البطل لديهم في قلايهم (أو على صفحات التواصل الاجتماعي المختصة بهم - المعرّب) صُور لـ "شيخهم القديس" أكثر من أيقونات المسيح!

هم يعلنون من دون خجل أنه أينما يذهب هذا "الشيخ" سيتبعونه حتى إذا ذهب إلى الجحيم. كل ما يقوله هذا "الشيخ" الرائع يُعتبر عقيدة في الإيمان. يخرعون إحتفالات سنوية "للشيخ" وُرسَم أيقونات للشيخ حتى وهو ما زال على قيد الحياة وبعد مماته تُحمل عظامه في صناديق ذهبية مثل تابوت العهد. يُكرّم قبره وممتلكاته الشخصية تُعطى للأخريين بمثابة جوائز. ولا أحد

يُقبل في صفوف التلامذة إذا لم يسجد على ركبتيه ليكرّم الأيقونة الخيالية الذين خلقوها لشيخهم بأنفسهم.

أما النتيجة الأكثر مأساوية هي تأثير كل هذا على شخص الشيخ بجد ذاته، والذي جعله مجاملو الدائرة الصغيرة بمثابة عجل ذهبي آخر تكرّمه الغوغائية. ربما هؤلاء المجاملون عليهم مسؤولية أكثر من الشيخ نفسه الذي دُفع منهم ليقوم بأفعال مختلفة غير قانونية مثل الإنقسامات والإنشاقات. دفعوه ليعتقد نفسه أنه هو "مخلص" الكنيسة!

هناك حاجة لصلوات حارة ويقظة مستمرة لكي لا أحد قد يجد نفسه في موقف هؤلاء الناس، ومن المهم بالأخص لكهنتنا بأن يخافوا من المجاملين (قصده هنا بأن يكونوا حذرين منهم – المعرّب). أجدادنا كانوا على صواب عندما أعلنوا أنهم "يخافون المجاملين ويفضلون الغربان لأن الغربان تأكل اللحم بينما المجاملون يمزقون النفوس إلى أشلاء".

† فوتيوس، أسقف ماراثون

